جامعة المستنصرية

مجلة

كلية الآداب

تصدرها كلية الآداب بالجامعة المستنصرية

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

العدد الثاني

٩

المحتويات

١ — الصرف وعدم الصرف في أسماء المدن والامكنة
الدكتور أحمد نصيف الجنابي ١٣

٢ — نحو عروض مبسط
الدكتور اسماعيل السامرائي ٥١

٣ — فن الالتفات في مباحث البلاغيين
جليل رشيد فالح ٦٣

٤ — دور شعراء الحيرة في معركة ذي قار وأثرهم في معارك التحرير العربية في المشرق.
حميد آدم ثويني ٩٩

٥ — دراسات في تاريخ المشرق الإسلامي — الزياريون في جرجان وطبرستان
الدكتور رشيد عبدالله الجميلي ١٤٩

٦ — دراسة تطويرية للطريقة التي توصف بها الأصوات المعتلة القياسية للتمييز بين مواقعها .
لازم مهران أوانيس ١٧١

٧ — عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير حياته وشعره
الدكتور عبدالحميد عبدالسلام المحتسب ١٨٧

٨ — مسألتان عن المصادر
عبدالوهاب محمود الكحلة ٢٠٩

٩ — الغزل والطرد في شعر امرىء القيس
الدكتور عمر محمد الطالب ٢٢٣

١٠ — علاقة السلاجقة بالخلافة العباسية
الدكتور فاضل مهدي بيات ٢٥٧

١١ — المباحث اللغوية في سيرة ابن هشام
الدكتور كاصد ياسر الزيدي ٢٧٧

١٢ — الملامح الإسلامية في شعر علي بن الجهم
الدكتور مجاهد مصطفى بهجت ٣٢٥

١٣ — الزجاج النحوي في تخليط المؤرخين « القسم الثاني »
الدكتور محمد صالح التكريتي ٣٩٧
١٤ — واقعة الزلاقة كما صورها الشعر الأندلسي
الدكتور منجد مصطفى بهجت ٤٢١
١٥ — الرصاوي والتجديد في الشعر
منعم جميل حسن ٤٥٥
١٦ — الأبجديات التركية عبر القرون
الدكتور هدايت كمال بدرخي ٤٩٩
١٧ — الإدراك في الجغرافية .
الدكتور ابراهيم محمد حسون القصاب ٥١٥
١٨ — التنشئة السياسية وقنواتها الفكرية والتربوية
الدكتور احسان محمد الحسن ٥٢٧
١٩ — اساليب المعاملة الوالدية وتأثيرها على انحراف الاحداث
الدكتور صباح باقر ٥٤٩
٢٠ — التصوير على المسكوكات الإسلامية
عبدالواحد الرمضاني ٥٧٧
٢١ — ثورة العراق مايس ١٩٤١ في استراتيجية الدول الكبرى
الدكتور غانم محمد الحفتو ٦٠١
٢٢ — التعبير الفني عند المتنبي وكيفية توجيهه
ناجية جميل الطائي ٦٤١
٢٣ — اضواء على مسؤوليات الجامعات العربية في القرن الخامس عشر الهجري
الدكتور جاسم مهلهل الطائي ٦٧٥
٢٤ — التركيب الوظيفي للقصيدة التكريتية اشارة خاصة لعلاقته بمدينة الموصل « القسم الثاني »
الدكتور هاشم خضر الجنابي صبيح يوسف طاهر
... ... ٧١٥

الصرف وعدم الصرف
في
أسماء المدن والأمكنة

للدكتور أحمد نصيف الجنابي
كلية الآداب – الجامعة المستنصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

«المدخل»

(١)

موضوع « ماينصرف وما لاينصرف » من القضايا النحوية المهمة وهو متعدد الجوانب لأنه يرتبط من جهة بالتذكير والتأنيث ويرتبط من جهة أخرى بالابنية .

ويلح جمهور من النحاة على ربط بعض مسائله بارادة المتكلم ؛ فاذا قصد بالكلمة (المدينة) أنثها ومنعها من الصرف ، وإن قصد بها (المكان) فهي مذكرة ومصروفة !!

(٢)

ويختلف النحاة في عد جملة من أسماء المدن «مؤنثة» أو «مذكرة» ، بل قد يختلفون في درجة تذكيرها أو تأنيثها ، إلى درجة تدعو إلى الاستغراب

والتعجب ، ولذلك ناقشت هذه القضية واعطيت فيها رأياً آمل أن يكون بديلاً أفضل ...

(٣)

والامر الآخر أن كتب النحو التقليدية لاتستوعب قضايا الممنوع من الصرف ولا سيما أسماء المدن والاماكن على كثرة ما ألف في هذا الموضوع ، خارج نطاق كتب النحو ...

واذا كان عذر النحاة الرواد أمثال الخليل بن أحمد (المتوفى ١٧٥هـ) وسيبويه (المتوفى ١٨٠هـ) والمبرد (المتوفى ٢٨٥هـ) أنهم لم يطلعوا على كتب مخصصة للبلدان مؤلفة قبلهم أو في عصرهم ، فما عذر من جاء بعدهم ولا سيما أهل القرن الرابع الهجري ومن بعدهم ؟

إنّ المادة التي جاءت عن الممنوع من الصرف والمصروف من أسماء المدن عن الخليل مقتضبة ، وما جاء في الكتاب لايحل كل مشكلات الموضوع . اما ماكتبه (المبرد) في مؤلفيه «المذكر والمؤنث» و «المقتضب» عن الموضوع فهو لايزيد على من سبقه شيئاً ذا بال ...

أما الزمخشريّ (وهو من علماء ونحاة القرن السادس الهجري ومؤلف كتاب : «الجبال والامكنة والمياه» فما جاء في كتابه «المفصل» غير واف ولا كاف . بل الذي لفت نظري أنّ «ابن يعيش» (وهو واحد من احسن الذين شرحوا المفصل ومن أوسعهم مادة) . لايعطي مايريده الباحث من تفاصيل في موضوع الممنوع من الصرف ولاسيما أسماء المدن والاماكن

(٤)

لذلك لجأت إلى تجربة حقل آخر من حقول هذه اللغة الكريمة : لغة القرآن ، فقرأت كتب المذكر والمؤنث — أعني أهمها — وكتب البلدان فوجدت مادة كثيرة أغنتْ البحث ، وأمدته بشواهد تفتقر اليها كل كتب النحو التقليدية ...

واستفدت من معجمات اللغة فائدة كبيرة لانها أعطتني شواهد جديدة وتفسيرات دلالية واضحة لها ، وتلك سمة من سمات المعجمات لايجوز إغفالها .

كما استفدت من دواوين الشعر العربيّ مادة طيبة صالحة ، ولولا هذه الروافد لما تمّ البحث بهذه الصورة ...

ولاتصال جزء من البحث بالتذكير والتأنيث عند العرب، قسمته قسمين :

الاول : ما يتصل بالتذكير والتأنيث ....

الآخر : ما ليس له صلة بالتذكير والتأنيث.

واردفته بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج الجديدة. وإنّ منهجي يقوم على اساس نظرة أقرب ما تكون الى المنهج الوصفي وإن لم تكن وصفية خالصة وذلك لسببين :الاول : أن النظرة الوصفية الخالصة قد لا تكون موجودة — اذا اردنا الدقة في الحكيم — الاخرى : اننا نحتاج الى بيان الاسباب والى الدقة المعيارية في تحليلات ليست قليلة.

وآمل أن يكون في بحثي جدّة وطرافة ،كما آمل أن تكون نتائجه اضافة — ولو صغيرة — الى صرح النحو الكبير .

فان جاءت كذلك فهذا من فضل الله وحسن توفيقه. وان جاءت على غير ما أردت لها فهذا من تقصيري.

والله أسأل ان يجنبنا العثرات وان يهدينا لاقوم السبل .وهو حسبنا ونعم الوكيل .

القسمُ الأوّل

ماينصل بالتذكير والتأنيث

وهو في مبحثين :

المبحث الأول

ماليس فيه علامة تأنيث

إنّ المشكلة الاساسية التي يواجهها الباحث في هذا اللون من أنوان الممنوع من الصرف، هو عدم اتفاق النحاة على مبدأ واحد في الحكم على ما يمنع من الصرف او ما يصرف ... ويبدو أنّ النحاة داخل المدرسة الواحدة يختلفون في تحديد المبدأ الذي يقيسون به (او يزنون) هذه الاسماء الكثيرة، المتعددة الاصول. فالنحاة البصريون يختلفون في الحكم على اسم الارض (او المكان)من حيث الصرف ومنعه. فيرى بعضهم أن اسماً ما مؤنث فهو ممنوع من الصرف، ويرى آخر أنه مذكر فهو مصروف. ويصل الأمر الى حد أنهم يختلفون في تحديد ما فيه من ذكورة او انوثة فيقولون انه يغلب عليه التذكير، او يغلب عليه التأنيث !! والنحاة الكوفيون يختلفون في تحديد مبدأ معين للحكم على هذا النوع من أنواع الممنوع من الصرف.

ونطرح — الآن — آراء النحاة من المدرستين، ثم نبين رأينا فيه:

ونبدأ بنحاة البصرة لأن مدرسة البصرة أسبق من مدرسة الكوفة.

رأي الخليل وسيبويه :

يرى الخليل وسيبويه أنك اذا سميت أرضاً على ثلاثة أحرف اوسطها ساكن وكان الاسم مؤنثاً او اسماً الغالب عليه التأنيث فالاختيار ترك الصرف وان شئت صرفت، وذلك نحو : قدر وشمس وحمز(١) .

---

(١) الكتاب ٢/٢٢ وما ينصرف للزجاج /٥٢ .

أما الاسماء التى يختلفون في تذكيرها وتأنيثها فمنها دابق ومنى وهجر، وواسط(١).

أما واسط فالتذكير والصرف أكثر، ولو أرادوا التأنيث قالوا واسطة. ومن العرب من يجعله اسم أرض فلا يصرفه(٢).

ودابق الصرف والتذكير فيه أجود وكذلك (منى). وإن شئت أنثتهما فلم تصرفهما.

وكذلك (هجر) يؤنث ويذكر (٣).

وخلاصة رأيهما أنهما قاسا أسماء البلدان المؤنثة الثلاثية على اسماء الاناث.

أما ما كان ثلاثياً محرّك الوسط او رباعياً فاختلفوا في تذكيره وتأنيثه؛ فان كان مذكراً او غلب عليه التذكير فالصرف فيه أجود، وان مؤنثاً او يغلب عليه التأنيث فترك الصرف أجود فيه.

رأي أبي حاتم السجستاني :

يرى ابو حاتم في كتابه «المذكر والمؤنث» أن (حَجْراً) الذي في اليمامة يذكر ويصرف، وبعض العرب يؤنثه ولا يصرفه كامرأة سميتها «سهل»(٤).

أما واسط التي بنجد والجزيرة فتصرف عنده ولا تصرف.

وأما واسط البلد المعروف (اي الذي في العراق) فمذكر عنده، لأنهم أرادوا بلداً واسطاً او مكاناً واسطاً، فهو منصرف على كل حال(٥).

رأي المبرد :

يرى «المبرد» أنّ ما يحدد صرف اسماء البلدان او عدم صرفها أمران:

الاول : مايريده الانسان من اسم البلد فان اراد به المكان ذكرّه وصرفه

(١) الكتاب ٢/٢٣ .

(٢-٣) الكتاب ٢/٢٣ .

(٤) المذكر والمؤنث /١٨٢ نقلا عن كتاب المذكر والمؤنث لابن الأنباري .

(٥) معجم البلدان ٥/٣٤٧

وان أراد به البقعة أنّثه ومنعه من الصرف. ومن الامثلة على ذلك «واسط»، وفيها يقول: (إن واسطاً الاغلب عليه لانه اسم مكان وسط البصرة والكوفة فأنما هو نعت سمّي به. ومن أراد البلدة لم يصرفها وجعلها امرأة سميت ضارباً)(١) .

الثاني : ان ما كان مؤنثاً من اسماء البلدان وفيه ما يمنع اسم المرأة من الصرف، لم تصرفه(٢) .

وهذا الضابط يشمل عنده جُلّ اسماء البلدان(٣).

وعنده أنّ من اسماء البلدان ما يغلب عليه وجه واحد (التذكير او التأنيث) والوجه الآخر جائز (٤) .

رأي الصيمريّ (=)

أما الصيمريّ فلا يفعل اكثر من صياغة أقوال «المبرد» صياغة جديدة فيها سهولة من الاسلوب ووضوح في المعنى. ولا يخلو عمله من فضل. وفي ذلك يقول :(اما اسماء الارضين فبمنزلة غيرها من الاسماء، فما اعتقد فيه أنه مؤنث كبقعة وبلدة وسمّي باسم فحكمه كحكم أسماء النساء من الصرف وامتناعه، وما اعتقد فيه أنه مذكر كمكان وموضع وبلد جرى مجرى اسماء الرجال من الصرف وحكم عليه بما يستحقه من ذلك ..... فهذان التأويلان يجوزان في كل موضع .....). ثم يقول :(وقد يغلب كلام العرب في بعض ذلك على التذكير حتى لا يؤنث، ومن بعضها على التأنيث حتى لا يذكر (٥).

(١-٢) المقتضب ، للمبرد ٣/٣٥٧-٣٥٨ .

(٣-٤) المقتضب ٣/٣٥٧ .

(*) هو عبد الله بن علي بن اسحاق من نحاة القرن الرابع البحري .

(٥) التبصرة والتذكرة للصيمري ٢/٥٨١ .

رأي أبي علي وأبي سعيد السيرافي وابن سيدة :

وهؤلاء الاعلام الثلاثة يتابعون الرأي الشائع عند البصريين في هذا النمط من الاسماء الممنوعة من الصرف (١) .

رأي الزجاج :

يخالف الزجاج جمهور البصريين في هذا النوع من الاسماء فيرى أنّ ما سُمّي به من أسماء البلدان وكان مؤنثاً ساكن الوسط فهو ممنوع من الصرف (٢).

وتابعه على هذا الرأي ابو جعفر النحاس (المتوفى ٣٣٨هـ) متابعة تامة (٣).

ويرى الزجاج أن (هجراً) الغالب عليه التذكير والصرف(٤) . ويرى فيه سيبويه التذكير والتأنيث على حد سواء.

واعتقد أن الزجاج مسبوق بهذا الرأي لانه رأي الفرّاء (٥).

*** آراء الكوفيين :**

رأي الكسائي :

إنّ مجموعة من المصادر نقلت عنه أنه سمع جماعة من العرب — وقد أكثر من مخالطتهم من نجد وتهامة — وهم يصرفون جميع ما لا ينصرف الا أفعل منك (٦) .

ونص النحاس في كتابه «اعراب القرآن» على أن الكسائي قال: (ايجوز أن تصرف مصر وهي معرفة لأن العرب تصرف كل ما لا يصرف الا افعل منك) . ولم يخص ذلك بالشعر (٧).

---

(١) المخصص ، لابن سيدة ١٧ : ٥٤ .

(٢-٣) ماينصرف /٥٢ واعراب القرآن للنحاس ٢/١٥٥ .

(٤) ماينصرف /٥٢ .

(٥) المذكر والمؤنث ، لابن الانباري /٤٦٧ .

(٦) افعل منك : اسم التفضيل المجرد من أل

(٧) اعراب القرآن ١/١٨٢ وينظر أمالي الزجاجي ص٥٥ وضرائر الشعر لابن عصفور /٢٥.

رأي الفرّاء :

اما الفراء فرأيه معياريّ واضح جداً، فهو يرى أن (اسماء البلدان لا تنصرف خفّتْ أو ثقلت واسماء النساء اذا خفّ منها شيء جرى(١)، اذا كان على ثلاثة أحرف واوسطها ساكن .... وانما انصرفت لأنها تتردد وتكثر بها التسمية فتخفّ لكثرتها، واسماء البلدان لا تكاد تعود (٢).

فهو يرى أن اسماء البلدان لا تنصرف سواء اكانت على ثلاثة احرف ساكنة الوسط، او محركة الوسط.

ويبدو أنه يريد الاسماء التى خلصت انوثتها والدليل على هذا التأويل انه يقول من (هجر): «الغالب عليه التذكير والاجراء» (٣).

ويقول عن اسماء البلدان الرباعية (قباء وأضاح يذكران ويؤنثان ، فمنْ ذكّرهما اجراهما ومن انثهما لم يجرهما (٤) .

فلو كان يريد باسماء البلدان مطلق الاسماء لما صحّ منه ما قاله في (هجر) ولا ما قاله في قباء واضاح ، لانه لو امتنعت « هجر » من الصرف مطلقاً لامتنعت قباء واضاح لأن الرباعيّ أولى من الثلاثي بالمنع من الصرف.

ويرى الفراء أنّ العرب قد تصرف ما لا ينصرف في ضرورة الشعر، ومثل لذلك ببلدة(عُمان) (٥).

رأي أبي بكر بن الأنباريّ :

اما ابن الانباري فقد عقد في كتابه القيّم : «المذكر والمؤنث» باباً لاسماء

---

(١) جرى : انصرف .

(٢) معاني القرآن ، للفراء ١/٤٢-٤٣ .

(٣) المذكر والمؤنث ، لابن الانباري /٤٦٧ .

(٤) نفسه /٤٦٩

(٥) نفسه /٤٦٨

البلدان نقل فيه عن رجال المدرستين ، ولا سيما الفراء من الكوفيين (١) ، وابي حاتم من البصريين (٢) .

ويبدو أنه جمع بين آرائه الكوفيين والبصريين في هذه القضية الشائكة .

وخلاصة رأيه أنه يرى (٣) :

ـ أنّ الغالب على أسماء البلدان التأنيث .

ـ وأنّ قسماً منها مذكر .

ـ وبعض أسماء الاماكن يغلب عليه التذكير والاجراء مثل (حُنَين) .

ـ وبعضها يغلب عليه التأنيث وترك الاجراء مثل (مصر).

وبعضها يكون فيه التذكير والتأنيث سواء مثل (دابق) .

وربط بين هذه الحالات وقضية الصرف ومنعه فقال: «فكل ما أُنِّث من اسماء البلدان لم يُجرَ (٤) ، وكل ما ذكّر من اسماء البلدان أُجرى (٥).

رأينا في هذا .....

غير أنّ لي وجهة نظر في هذا النوع من أسماء البلدان الذي يخلو من علامة تأنيث، آمل أن تحل مشكلة الاضطراب الذي وقع فيه النحاة ، وقد شرحناه تفصيلاً .

تفرق اللغة العربية ـ من ناحية الجنس ـ بين نوعين من الاسماء، هما: المذكر والمؤنث

ويوجد هذا الميل في لغات أخرى كثيرة وقد تزيد لغات أخرى كاللغات الهندية الاوربية نوعاً ثالثاً هو ما يسمى «بالمحايد» (٦) ، وهو معروف تماماً لدراسي اللغة الالمانية والانجليزية .

---

(١) المذكر والمؤنث ، صفحات : ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(٢) نفسه ، صفحات : ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

(٣) المذكر والمؤنث ، صفحات : ٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ .

(٤) لم يجر : منع من الصرف .

(٥) أجري : صرف .

(٦) اللغة (فندريس) ، ص١٢٦

غير أن بعض اللغات قد أهملت ناحية التذكير والتأنيث وقسمت الاشياء فيها الى اسماء أحياء واسماء جمادات . وقد قال بروكلمان : (وفي اللغات البدائية ليس هناك نوعان فحسب من الجنس، كما في اللغات السامية ، ولا ثلاثة أنواع ، كما في اللغات الهندو أوربية، بل فيها غالباً أنواع كثيرة يفترق بعضها عن بعض نحوياً وتتوزع فيها كل اشياء العالم المحسوس ، ويرجع هذا التوزيع في الاساس الى تأملات لاهوتية، او بتعبير أحسن ، تأملات خرافية ، على قدر ما يبدو للرجل البدائيّ أن العالم كله من الاحياء) (١) .

ويمكن أن نسمى ما لاحظه بروكلمان (بالتأملات اللاعقلانية في اللغة)، وتوجد هذه التأملات حتى في اللغات التى قسمت الاسماء الى مذكر ومؤنث (٢) .

وترتب على فقدان الصلة العقلية بين الاسم ومدلوله الجنسيّ ، أنْ اهتزّ هذا المدلول في أذهان أصحاب اللغة أنفسهم (٣) .

فالسَّلم (*) (الصلح) يذكر ويؤنث ، وجاء القرآن الكريم بالتأنيث ، قال تعالى : « وانْ جنحوا للسلم فأجنحْ لها » (٤) .

وقال زهير في التذكير : (٥)

وقد قلتما إن ندرك السلم واسعاً بمال ومعروف من القول نسلم

وهذا هو السرّ في أنّ كثيراً من الكلمات التى تسمى بالمؤنثات السماعية

---

(١) فقه اللغات السامية (بروكلمان) ، ص٩٥ .

(٢) مقدمة كتاب «البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث» لابي البركات الانباري ، ص ٤٠ ليحققه الاستاذ الدكتور رمضان عبد التواب .

(٣) نفسه ، ص٤١ .

(٤) سورة الانفال ، الآية ٦١ .

(*) بفتح السين وكسرها ، (اصلاح المنطق ، ص٣٦١) .

(٥) شرح القصائد السبع الطوال /٢٦٢ .

في اللغة العربية — وهى التى تخلو من علامات التأنيث — قد روي لنا فيها التذكير ، أيضاً . (١)

غير أنّ عدم معرفة اللغويين العرب بهذه الحقيقة الحضارية أوقعهم في الاضطراب ، وأثر هذا الاضطراب في الاحكام والتأويلات والتفسيرات .

ومن أمثلة الاضطراب موقفهم من كلمة (الكفّ) ، وهى مؤنثة عندهم . وقد قال أبو بكر بن الانباري : (لم يعرف تذكيرها أحد من العلماء الموثوق بعلمهم ، وزعم قوم لايوثق بعلمهم أنه يذكر ، وبنوا على ذلك بيت الأعشى :

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما يضم الى كشحيه (كفّاً مخضبا) (٢)

وقد جاء في تأويل هذا التذكير أقوال :

١ — قول الفراء : ربما ذكّرت العرب فعل التأنيث اذا سقطت منه علامة التأنيث (٣) .

٢ — والقول الثاني : أن يكون أراد كفاً مخضبة فحذف الهاء لضرورة الشعر على جهة الترخيم ، كما ترخم العربُ من الشعر الاسم في غير النداء ، اذا احتاجت الى ذلك . أنشد الفراء وهشام :

وما أدري وظنّي كلّ ظنٍ أمسلمني الى قومي (شراحي)

أراد (شراحيل) فحذف اللام على جهة الترخيم .

وقال ذو الرمة :

ديار مية اذ (مي) تساعفنا ولا يرى مثلها عُجْمٌ لا عرب

أراد (مية) فحذف الهاء (٤) .

٣ — الثالث : أن يكون جعل (مخضباً) نعتاً لقوله (رجلاً) .

---

(١) المرجع السابق / ٤١ .

(٢) كتاب المذكر والمؤنث /٢٧٨-٢٧٩

(٣) معاني القرآن للفراء ١٢٧/١ .

(٤) المذكر والمؤنث /٢٨٠ .

٤ ــ قول ابي عليّ اذ رأى أن (مخضباً) حال من الهاء في (كشحيه) . وعلى الشاطبى في شرح الالفية : (مثل هذا انما يكون على توهم اسقاط المضاف اعتباراً بصحة الكلام دونه ، ومن هنا أجاز أبو عليّ في قول الشاعر : « أرى رجلاً ... البيت » أن يكون مخضباً حالاً من الضمير في كشحيه وهو مضاف ولكنه في تقدير « يضم اليه » لأنه اذا ضمه الى كشحيه فقد ضمّه اليه فكأنه قال : يضم اليه فهو في التقدير حال من المجرور بحرف الجر ، وهو جائز) (١) .

٥ ــ أن يكو ن حالاً مما في (الاسيف) لأن الضمير معرفة .

٦ ــ أن يكون حالاً ممّا في (يضم)...

وهى تأويلات أحسن ماتوصف به أنها مضطربة ، كما أنها لاتخلو من تعسف ، وتخلو من جامع منطقيّ أو لغوي يجمع بينها .

والتفسير المقبول أن الكف مؤنثة تأنيثاً مجازياً ، فتؤنث عند جماعة من العرب وتذكر عند آخرين ، لأنها لا تحمل علامة محددة تجعلها مؤنثة .

وعدم معرفة اللغويين القدامى هذا التفسير أوقعهم في اضطراب عند تفسيرهم مجموعة من الأبيات التى تقع في ميدان التأنيث المجازيّ ...

واضطرابهم في تفسير « الكف المخضب » هو نفسه الذي جاء في تفسير (العين المكحول) !!

فالعين مؤنثة باتفاق اللغويين العرب (٢) ، لكنّ طفيلاً الغنوي قال :

اذ هي أحوى من الربعيّ حاجبه والعين بالا ثمد الحاريّ مكحول

فاختلف اللغويون والنحاة في تأويله :

---

(١) خزانة الادب ٣ / ١٥٦ .

(٢) المذكر والمؤنث ، للفراء / ١٨ وكتاب المذكر والمؤنث ، لابن الانباري / ٢٨٢ ، والبلغة / ٧١ .

١ــ فرأي سيبويه أن العين جاءت بمعنى الطرْف (١) .

٢ــ ويرى الفراء أنه ذكر مكحولاً لأن العين لا علامة للتأنيث فيها (٢) .

٣ــ قول الاصمعيّ : انما ذكرّ (مكحولاً) لأن المعنى حاجبه مكحول والعين ايضاً (٣) .

وعقب ابن الأنباري على رأي الاصمعي بقوله : « فعلى هذا المعنى ترتفع هي بأحوى ، واحوى بهي ، ويرتفع الحاجب بمكحول ، ومكحول به ، وترتفع العين باضمار مكحولة والمعنى : حاجبه مكحول وعينه مكحوله أيضاً » (٤) .

وهذه التأويلات بعيدة عن الواقع وعن التفسير اللغوي الدقيق المقنع ، لأن العين مؤنثة باجماع اللغويين ، فالقانون اللغوي — عندهم — يقتضي أن نقول « مكحولة » ، فلما رأوا الشاعر جاء بخبر العين مذكراً لجأوا الى التأويلات البعيدة ، ولو عرفوا أن هذه الكلمات (ومجموعة كبيرة مثلها) لم تكن تحمل في أصل الوضع جنساً محدداً فأنّثها فريق من اصحاب اللغة ، وذكرها فريق ، وجاءت النصوص العربية تحمل هذين الرافدين أحياناً ، وجاءت تحمل رافداً واحداً وآثاراً من الرافد الثاني أحياناً . وجاءت تحمل رافداً واحداً في احيان أخرى ، وضاعت نصوص الرافد الآخر .

والرأي الذي نخلص اليه أن الالفاظ المؤنثة التي لا تحمل علامة تأنيث مميزة وليس لها أي نصيب في التأنيث اذ لم تطلق علماً لامرأة فيجوز تذكيرها . وانّ الذي قوى عدم تحديد جنسها واستمرارية هذه السمة لدى الاجيال المتعاقبة من العرب أمران : الاول أن تلك الكلمات تخلو من أية علامة للتأنيث .

---

(١) الكتاب ٢٤٠/١ وتابعه عليه ابن السكيت ، كتاب المذكر والمؤنث /٢٨٣ .

(٢) معاني القرآن ١٢٧/١ .

(٣ــ٤) كتاب المذكر والمؤنث /٢٨٣ .

والآخر : أنها لم تطلق على مؤنث آدميّ واجتماع هذه الامور في هذه الالفاظ جعلها تبقى مترددة بين التذكير والتأنيث بين قبائل العرب على مدى الأجيال حتى رسخ عدم التحديد والتردد بين المذكر والمؤنث بدلاً من الثبات على جنس واحد .

ويمكن أن نطبق هذه النتيجة على اسماء الأماكن والمدائن .

فحنين ، وخيبر ، وعكاظ ، وفيد ، وقُدس وغيرها من الاماكن والمدائن الواقعة في هذه الدائرة ، أماكن يجوز فيها التأنيث وعدم الاجراء ، ويجوز فيها التذكير والاجراء . ولاعبرة بعد ذلك في اختلاف اللغويين ، لأن الاستعمال يدل دلالة واضحة على أنّ العرب نظروا الى هذه المؤنثات المجازية هذه النظرة الثنائية الواضحة في استعمالهم لها .

وهذه شواهد القضية بوجهيها :

* **حنين**

قال تعالى : « ويوم (حُنينٍ) اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تُغنِ عنكم شيئاً»(١).

وقال حسان بن ثابت (في عدم الاجراء) : (٢).

نصروا نبيّهُمُ وشدّوا أزره (بحنين) يوم تواكل الابطال

* **خيبر**

قال كعب بن مالك (في الاجراء : (٣)

ونحن وردنا خيبراً وفروضهُ بكل فتىً عاري الاشاجع مذود

وقال في عدم الاجراء : (٤)

قضينا من تهامة كلّ ريب وخيبرَ ثم أجمعنا السيوفا

(١) سورة التوبة ، الآية ٢٥ .

(٢) ديوان حسان /١٩٤ .

(٣) السيرة النبوية ، لابن هشام ٣٦٣/٣ (والعروض: المواضع التي يشرب منها من الأنهار. والاشاجع : عروق ظاهر الكف).

(٤) السيرة النبوية ١٢١/٤ (الريب – هنا – الحاجة) .

* **عكاظ**

قال دريد بن الصمة (في الاجراء: (١)

تغيبتُ عن يومي (عكاظٍ) كليهما وان يك يوم ثالثٌ أتغيّبُ

وقال طريف بن مالك العنبري (في عدم الاجراء) : (٢)

أو كلما وردت (عكاظَ) قبيلة بَعثوا إلي عريفهُمْ يتوسَّمُ

* **فيد**

— قال زهير بن ابي سلمى في الاجراء : (٣)

أجُدُّ سرى فيها وظاهر نيَّها مرعىً لها أنِقٌ بفيدٍ مُعْشِبُ

— وقال زهير في عدم الاجراء : (٤)

ثم استمروا وقالوا:إن موعدكم ماءٌ بشرقيّ سلمى فيدُ اوركك

* * * * * *

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

---

(١) اللسان (عكظ) ٣٢٧/٩ .

(٢) اللسان (عرف) ١٤١/١١ .

(٣) شرح ديوان زهير /٣٧٠ (أجد ، بضمتين : ناقة شديدة الظهر . وأنق — بفتح ثم كسر — معشب) .

(٤) شرح ديوان زهير /١٦٧ (وركك : مكان . والاصل فيه ركك واحتاج الشاعر فاظهر الادغام . واستمرو : استقاموا) .

المبحث الثاني
مافيه علامة تأنيث

وهذا النوع من أسماء المدن والاماكن ممنوع من الصرف بالاجماع . ولكن الذي أريد أن أضيفه هنا هو أن هذه الاسماء تصرف في حالة واحدة هي أن تأتي في « موقع العروض » .

وقد ذهب فريق من النحاة أن صرف ما لاينصرف ينصرف ضرورة شعرية ، وان كان النحاة لم ينصوا صراحة على اسماء المدائن (المؤنثة بعلامة) ، لكن التفكير النحوي العام يفترض هذا ...

غير أن النحاة لم يلتفتوا الى موقع العروض ولا الى أثره في صرف مالا ينصرف ، ولكنّ النظرية العامة للضرورة تجعل صرف مالا ينصرف نوعاً من أنواع الضرورة ، دون تحديد « الموقعية العروضية » .

والامثلة الآتية توضح وجهة نظرنا في هذا النوع من أنواع الممنوع من الصرف . وبعد أناقش رأي من قال بالضرورة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* **أوارة**

بضمّ أوله وبالراء المهملة على وزن (فُعالة) : ماء دُوين الجريب لبني تميم . والجريب : وادٍ بين أجلى والذنائب ، تجيء أعاليه من قبل اليمن حتى يلقى الرُّمّة (١) .

— قال يزيد بن الصعق (٢) .

جلبْنَ الخيلَ من تثليثَ حتى ... وردْن على (أوارة) فالعدانِ

— وقال جرير (٣) :

ولسنا بِذبح الجيش يوم (أوارةٍ) ... ولم يَستبحنا عامرٌ وقنابلـه

(١) معجم مااستعجم ٢٠٧/٢ ، ٣٧٨ .
(٢) اللسان (عدن) ١٥١/١٧ .
(٣) ديوان جرير /٤٨٣ (قنابله : هي جمع قنبلة : الطائفة من الناس ومن الخيل) .

بزاخة

بضم أوله وبالخاء المعجمة : رملة من وراء النباج ، قبل طريق الكوفة. وقال أبو عمرو الشيباني : هو ماء لبني أسد (١).

قال ربيعة بن مقروم الضبّيّ (٢):

وقومي فإن أنت كذبتني بقولي ، فاسأل بقومي عليما
بنو الحرب يوماً اذا استلأموا حسبتُهُم بالحديد القروما
فدى (ببزاخَةَ) أهلي لهم إذا ملأوا بالجموع الحريما

— وقال البعيث المجاشعيّ يمدح الوليد بن عبد الملك(٣) :

وخالك ردّ القوم يوم (بزاخة)
وكُرّ حفاظاً والاسنّة ترذم

حمامة

على لفظ الطائر. ماء لبني سعد بن بكر هوازن بأبرق العزّاف(٤).

— قال كثير عزة(٥) :

وقد جعلَتْ أشجان برك يمينها
وذات الشمال من مُريخة أشأما
مولية أيسارها قطر الحمى
تواعدْنَ شرباً من (حمامة) معلما

---

(١) معجم ماستعجم ٢٤٦/١ .
(٢) معجم البلدان ٤٠٨/١ .
(٣) معجم ماستعجم ٢٤٧/١ .
(٤) نفسه ٢ : ٤٦٧ .
(٥) نفسه ٤٦٧ .

ـ وقال الطرماح بن حكيم(١) :

وروّحها في المور: مور حمامة
على كلّ إجريّائها وهو زائرُ

دُومة الجندل

بضم الدال، هي ما بين بِرك الغماد ومكة. ودومة على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة وثمان من دمشق(٢).

ـ قال الاحوص الانصاريّ(٣) :

فما جعلتْ مابين مكة ناقتي * الى البرك إلاّ نومة المتهجد
وكانتْ قُبيل الصبح تنبُذُ رِحلها * (بدوَمةَ) من لغط القطا المتبدد

وقال الفرزدق (٤) :

طواهُنّ مابينَ الجواء ودُومة
وركبانها طيَّ البرود من العَصْبِ

والخلاصة

ان هذه الاسماء التي اطلقت إعلاماً على المواضع والمدائن والجبال ، تكون ممنوعة من الصرف الا في حالة وقوعها في « العروض » .

والظاهر ـ والله أعلم ـ أن وقوع الكلمة الممنوعة من الصرف في هذا الموقع يجعلها مصروفة ، وكأنّ هذه الظاهرة قانون من القوانين ... وهكذا ظهر لي من خلال تتبعي لحالات الممنوع من الصرف . واقترح تسمية هذا القانون « قانون الصّرف العروضيّ ».

فقد ثبت بالشواهد الصحيحة أن هذا القانون يطرد في كل أنواع الممنوع

---

(١) معجم ماستعجم ٤٦٧/٢ .
(٢) نفسه ٥٦٤/٢ ، اما دومة بفتح الدال فهي موضع بين الشام والموصل.
(٣) نفسه ٥٦٤ .
(٤) ديوان الفرزدق ٧٧/١ .

من الصرف ، مثل « صيغة منتهى الجموع » (١) وأسماء الاعلام بصيغة الفعل ، واسماء القبائل ، (٢) وغيرها .

وعندي — بفضل الله — شواهد كثيرة على اطراد هذا القانون وتحققه في حالات الممنوع من الصرف الاخرى ، ليس هذا موضع ايرادها ، لأنني سأفرد لها بحثاً خاصاً ، إن شاء الله ...

غير أن النحاة ونقاد الشعر القدامى (ومن الصعوبة التفريق بينهما في حالات كثيرة) ، حاولوا أن يحشروا كل الظواهر اللغوية والنحوية تحت قواعد ثابتة وتناسوا الاستعمال الذي يغير القاعدة بمرور الزمن كالماء الذي يمر بالصخور فيؤثر فيها على كر الجديدين : الليل والنهار .

واذا اعجزت الظاهرة النحوية هؤلاء النقاد لجأوا الى ماسموه « الضرورة الشعرية » ، وهي قضية كبيرة يجب أن يعاد فيها النظر ، لأنها لاتخلو من تعسف وتأويل بعيد ...

ومن هذه الامور التي حشروها في زنزانة الضرورات « صرف مالا ينصرف في الشعر » ، وكأن النثر لايوجد فيه مثل هذا ... وكأن العرب لم يصرفوا مالا ينصرف .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

غير أن الامانة الفكرية تقتضي أن نذكر هناك أن قسماً من النحاة العرب (وهم أقل من أصابع اليد الواحدة) قالوا بجواز صرف مالا ينصرف في غير الشعر منهم الكسائي (٣) . وروى الزجاجي في « أماليه » أن من العرب من يصرف — في الكلام — جميع مالا ينصرف الا أفعل منك (٤) .

أما الذين قالوا بأن صرف مالا ينصرف في الشعر ، ضرورة فهم الكثرة

---

(١) ينظر : طبقات ابن سلام ٢٢٩/١ وشرح اشعار الهذليين ١٥٣/١ وديوان عمر بن أبي ربيعة /٢٨١ (وغيرها) .
(٢) السيرة النبوية ٣٣٨/٣ ، ١٠٦/٤ .
(٣) اعراب القرآن ، للنحاس ١٨٢/١ .
(٤) أمالي الزجاجي /٥٥ .

الغالبة ورأيهم هو الرأي السائد في كتب النحو المشهورة ،

فابن جني يرى أن صرف المؤنث الثلاثي الساكن الوسط في الشعر (١) ضرورة ، فكيف بما زاد على الثلاثة وحمل معه علامة التأنيث ؟! وقبله رأي الزجاج هذا الرأي في كتابه « ماينصرف ومالاينصرف » (٢) .

ويرى ذلك جمهور البصريين ،ثم القزاز القيرواني الناقد (٣)وابن السيد البطليوسي (٤) ، وأخيراً ابن عصفور (المتوفى ٦٦٩ هـ) وهو الذي نريد أن نقف عنده ونناقشه لاكثر من سبب .

أولاً : لأنه صاحب رأي في جملة طيبة من المباحث النحوية .

ثانياً : لأنه متأخر في الزمن نسبياً .. ونحن نهتم اكثر مانهتم بالرواد ونهمل المتأخرين .. وكم من متأخر له فضل لا يجحَد وعمل لا ينسى !

وثالثاً : لأن رأيه يمثل رأي اكثر الذين قالوا بأن صرف مالا ينصرف في الشعر ، يعدّ ضرورة .

والجديد في رأيه أو العجيب أيضاً ، أنه يعد هذه الحالة ضرورة مع اقتناعه بأن قسماً من العرب يصرفون جميع مالا ينصرف . وهذا نص كلامه :

« فإن قلت : كيف جعلت صرف مالا ينصرف من قبيل الضرائر وقد زعم الاخفش في الكبير (٥) له أنه سمع من العرب من يصرف في الكلام جميع مالا ينصرف؟ « فالجواب أن صرف مالا ينصرف في الكلام انما هو لغة لبعض العرب واما سائر العرب فلا يجيزون صرف شيء منه في الكلام فلذلك جعل من قبيل مايختص به الشعر »(٦) .

---

(١) همع الهوامع ١/٣٤ .
(٢) ماينصرف /٥٠ .
(٣) مايجوز للشاعر في الضرورة /١٤٠ .
(٤) الحلل في اصلاح الخلل /٣٧٨ .
(٥) الكبير في النحو كتاب للاخفش الاوسط ، وله الاوسط والصغير .
(٦) ضرائر الشعر / ٢٥ .

ان الذي يقرأ النصوص الثابتة والصادقة يتبين له أن صرف مالا ينصرف ليس من اختصاص الشعر ، وليس هو لغة لبعض العرب ولا لقبيلة واحدة .

وحتى لو صح أنه لهجة لقبيلة عربية واحدة فلا يجوز عده ضرورة .. فإن تحقيق الهمزة الوسطية الساكنة في مثل : بئر ورأس وفأس لغة تميم. فقد روى الفراء أن بنى تميم وحدهم يهمزون مثل هذا في الكلام اما سائر العرب فلا يهمزون (١) .

فهل عدّ أحد هذه الظاهرة ضرورة شعرية ، إن جاءت في الشعر ؟! هذا مالم يقل به أحد ...

غير أنّ صرف ما لا ينصرف، يتعدى القبيلة الواحدة الى قبائل متعددة فقد ذكر السهيلي أنّ «كثيراً من العرب» يصرفون «صيغة منتهى الجموع»(٢) ، ولاحظ أنه «قد جاء في القرآن مصروفاً وغير مصرف».

وصرف ما لا ينصرف في القرآن الكريم قراءة سبعية قرأ بها أهل المدينة واهل الكوفة (اي من القراء السبعة) غير حمزة بن حبيب الزيات.

وقد قرأوا الآية الرابعة من سورة الانسان: (إنا اعتدنا للكافرين سلاسلاً واغلالاً وسعيراً) .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقد علل الفراء هذه القراءة، وقرن بها قراءة «كانت قواريراً»(٣) ، وقال بعدهما: «فان شئت أجريتهما جميعاً وإن شئت لم تجرهما» (٤) .

وكل نحويّ او لغوي لابدّ أن يقول ما قال الفراء اذا أراد أن يكون كلامه سليماً صحيحاً .

واورد النحاس القراءة الاولى وقال بعدهما «والحجة لمن نوّن سلاسلاً

---

(١) ايضاح الوقف والابتداء ، لابن الانباري ١٦٦/١

(٢) أمالي السهيلي / ٢٩

(٣) الآية – ١٦ من سورة الانسان .

(٤) معاني القراء للفراء ٢١٤/٣ .

ما حكاه الكسائي وغيره أنّ العرب تصرف كل ما لا ينصرف الا أفعل منك ..... فقد صحت هذه القراءة من كلام العرب»(١) .

فصرف الممنوع من الصرف لا يختصّ بالشعر، ولا يتصل بقبيلة واحدة فهو ظاهرة من الظواهر النحوية التي أقر بها فريق وجعلها فريق من باب الضرورات، وليس بصحيح ...

فصرف الممنوع من الصرف ظاهرة موازية لظاهرة المنع، وتسير الظاهرتان جنباً الى جنب، مثل ظاهر النسب الى فُعيل» فهي :بحذف الياء صحيحة وباثبات الياء صحيحة ذكرهما الخليل (٢) عن العرب في نجد وتهامة، وإن وأقر سيبويه بواحدة(٣) ، وأقر المبرد بأخرى (٤) .... الى كثير من الظواهر اللغوية والنحوية التي لا يخطئها الاستقراء السليم الدقيق ...

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) اعراب القرآن للنحاس ١ : ٥٧٣ .
(٢) كتاب العين (هذل) ٤ : ٣٩، و (قرش) ٥/٢ .
(٣) همع الهوامع ٢/١٩٥، وذهب إلى أن القياس اثبات الياء : فعيلي .
(٤) نفسه ٢ : ١٩٥، وذهب إلى أن القياس حذف الياء : فعلي .

القسم الثاني

ماليس له علاقة بالتذكير والتأنيث

— وفي هذا مبحثان :

المبحث الاول : ماآخره ألف ونون

المبحث الثاني : ماجاء بصيغة فعلية

(١)

حاول فريق من اللغويين والنحاة ان يربطوا بين اسماء المدن المنتهية بألف ونون ومسألة التذكير والتأنيث، لكنهم اختلفوا اختلافاً كبيراً بلغ حدّ التناقض ... فذهب ابو بكر الانباري الى أن «كل اسم في آخره ألف ونون زائدتان فهو مذكر بمنزلة الشام والعراق نحو : حلوان وحوران وجرجان وصبهان وهمدان» (١) .

وذهب ابو حاتم السجستاني الى النقيض .... وحكى عن بعض النحاة أنه ذهب الى أن كل ما فيه ألف ونون من أسماء البلدان يذكر ويؤنث، فقال: وليس قول من زعم انّ كل اسم بلدة في آخره ألف ونون يذكر ويؤنث بصواب .... أما جرجان وخراسان وسجستان ونجران فمؤنثه لا شك في ذلك» (٢) .

وبنى ابن الانباري على قضية التذكير والتأنيث قضية أخرى هي: أنّ (كل ما أُنِّثَ من أسماء البلدان لم يُجرَ. وكل ما ذُكِّرَ مِنْ أسماء البلدان أجرى) (٣) .

---

(١) كتاب المذكر والمؤنث، لابن الانباري /٤٧٣ .

(٢) المذكر والمؤنث، لابي حاتم /١٨٢ (مخطوط تركية، نقلا عن المرجع السابق ذكره ص ٤٧٣ هامش رقم ٧٥) .

(٣) كتاب المذكر والمؤنث /٤٦٨ (ومعنى اجرى : انصرف ، ولم يجر لم ينصرف) .

وأما سيبويه والمبرد والزجاج ومن تابعهم من جمهور النحاة فلم يتطرقوا في باب «أسماء الارضين والبلدان» الى هذا الموضوع المهم ولكنْ تطرقوا الى ما تحدثنا عنه في القسم الاول :

المبحث الأول...

ولعلهم فعلوا ذلك اكتفاء بما قدروه في باب: ما زيدت فيه ألف ونون من أعلام الذكران، مما ليس له «فَعْلى» (١) .

وسواء صحّ هذا العذر أم لم يصحّ فان الاستقراء لكلام العرب يدل على أنّ هذا النوع من أسماء المدن والاماكن والارضين يمكن أن نقسمه ثلاثة:

النمط الاول: ما جاء على أوزان عربية وهو عربيّ

النمط الثاني: ما جاء معرّباً .....

النمط الثالث: المُعجَّمُ (بزنة مُعَرَّب) ..

النمط الأول : العربيّ وقد استطعتُ أنْ أحصيَ أربعة اوزان منه هي:

(أ) وزن فعلان. مثل: ميسان ونجران خفّان، بيسان

-قال الشماخ في (خفان) (٢) :

وأعرض من خفّانَ مصرٍ كأنّه
شماريخُ باهى بانياهُ المُشَقَّرا

-وقال الفرزدق في (ميسان) (٣) :

أتبكي امرءاً من أهل ميسانَ كافراً
ككسرى على عِدّاته او كقيصرا

---

(١) الكتاب ٢/١٠ وما بعدها، والمقتضب ٣/٣٣٥، وما ينصرف /٣٥-٦ .

(٢) معجم ما استعجم ٢/٥٠٥، ٥٠٦ .

(٣) ديوان الفرزدق /٢٠١ واللسان (ميس) ١٧:١٥١ .
(علي عداته : اي في وقته وملكه) .

وقال الاخطل في نجران (١) :

على العيارات هدّاجون قد بلغتْ
نجرانُ او حُدِّثتْ سوآتهم هَجَرُ

(ب) وزن : فُعلان . مثل حُلوان . عُسفان

— قال ابن قيس الرقيات في (حلوان) (٢) :

سقياً لحلوانَ ذي الكروم ومـا
صنّف من تينه ومن عنبه

— وقال عنترة في (عسفان) (٣) :

كأنها حين صدّتْ ما تكلّمني
ظبيٌ بعُسْفانَ ساجي الطرف مطروفُ

(ج) وزن فعيْلان . مثل : عبيدان ، على لفظ التصغير ماء معروف بناحية اليمن (٤) ، او اسم واد .

— قال النابغة الذبيانيّ :

ليهنىء لكم أنْ قد نفيْتُم بيوتنا
مندّى عبيدانَ المحلأ باقره

وشرح ابو عمرو الملأ باقره بقوله : «وكانت في ذلك الوادي حية تمنع من ورود مائه . فهو الذي حلا باقرهُ . ورواه ابن الاعرابيّ بلفظ : «منادي عبيدان» أي : ماء بعيد من الانيس (٥) .

(د) فَيْعَلان . مثل : عيسطان

---

(١) ديوان الاخطل /١١٠ واللسان (نجر) ٤٨:٧ .
(٢) اللسان (حلا) ٢٠٨:١٨ .
(٣) العباب الزاخر (عسف)، (حرف الفاء) ص ٤٣٧ .
(٤) الاشتقاق لابن دريد /١١ ومعجم ما استعجم ٩١٨/٣ .
(٥) معجم ما استعجم ٩١٨/٣ .

قال الشاعر فيه (١) :

وقد وردت من عيسطـانَ جميْمـــــــةً
كماء السَّلي يزري الوجوه شرابُها

النمط الثاني : أسماء المدن الاعجمية المعرّبَة .

وعند دراستي لاسماء المدن المعرّبـــة وجدت أن (الالف والنون) في آخر هذه الاسماء على ثلاثة أنواع :

مافيه ألف ونون علامة للجمع مثل (اصبهان) :

اذ أنّ أصلها : سپاه : ومعنى المقطع بالفارسية : جيش، وآن : علامة للجمع عندهم . فهم يقولون : استادان ، اي : اساتذة . وكتابان ، أي كتب . فمعنى اصبهان الجيوش .

مافيه ألف ونون دالة على النسبة . فايران تعني : آريّ . وخراسان : تعني الاقليم الشرقيّ ومأخوذة من خُر ، بضمّ فسكون ، ومعناها الشمس (٢) ان تكون الالف والنون جزءاً من مقطع .

فمثلاً : عربستان ، أفغانستان ، تركستان مكونة من : عرب + ستان وافغان + ستان، وترك + ستان .

وستان ، تعني : أرض او مكان .

فمعنى هذه الاماكن على التوالي : ارض العرب ، ارض الافغان ، أرض الترك .

النمط الثالث : الأسماء العربية المُعَجَّمة . (٣)

أما أسماء المدن العربية المعجمة مثل عبّادان فهي مكونة من (عبّاد)

---

(١) معجم ما استعجم ٣/٩٨٥ وينظر اللسان (عسط) .

(٢) استفدت ما يتصل باللغة الفارسية من استاذي العالم الجليل : الدكتور أحمد ناجي القيسي ، فجزاه الله خيراً .

(٣) المعجمة بزنة المعربة مصطلح من وضعي استعملته للدلالة على ما يقابل المعربة .

اسم عربيّ معروف مشهور و (آن) الدالة على نسبة المكان الى صاحبه الذي يمتلكه او الذي بناه . ففي البصرة كانت أسماء الامكنة – في القرن الاول الهجري – المنسوبة الى الاشخاص تُختم عادة بمقطع (آن) الدال على النسبة وتقابل ياء النسبة في العربية . وكانت اسماء القطائع تُسمّى باسماء أصحابها مثل : مُهلّبان ، نسبة الى المهلب . وأميتان ، نسبة الى أبي أُميّة . وجعفران نسبة الى أُمّ جعفر .

وكان يوجد بين أسماء القنوات الهامة بالبصرة صيغ مثل : خالدان وطلحتان . نسبة الى خالد وطلحة (١) .

والخلاصة

أنّ هذه الاسماء جميعاً ممنوعة الصرف .

ان هذه الانماط الثلاثة لايمكن أن تحشر حشراً ، لاتحت الاسماء المؤنثة لأنّ فيها اسماء كثيرة لاعلاقة لها بالتأنيث سواء أكانت عربية مثل حُلوان او معربة مثل خراسان . ولاتحت الاسماء المذكرة لأنها لو كانت مذكرة لصرفت (فكل ماذكّر من اسماء البلدان صُرف) ، وهي ممنوعة من الصرف ....

وان هذه الانماط الثلاثة لايجوز أن تحشر كلها تحت عنوان «مافيه ألف ونون زائدتان» لان فيها ماليس زائداً .

لكنّ السؤال الذي يرد هنا ويفرض نفسه هو : لماذا منعت من الصرف اذن ؟

أرى – والله اعلم – أنها ممنوعة من الصرف بانماطها الثلاثة ، حملاً على مافيه ألف ونون من الاسماء الممنوعة من الصرف التي جاءت على وزن «فَعْلان» ، وهي اكثر الاسماء المنتهية بالف ونون . وروداً في العربية ،

(١) كتابي : ملامح من تاريخ اللغة العربية /١٤٠ .

وحمل النظير على النظير أصل معروف من أصول النحو ، لاخلاف في ذلك بين الاصوليين من النحاة (*) .

(٢)
ما جاء بصيغة فعليّة :

إن المدقق في أسماء المدن الموجودة في كتب البلدان العربية يلاحظ كثرة اسماء الاماكن التي اطلق عليها افعال ....

ويجد أيضاً أنّ أسماء المدن التي جاءت بصيغ فعلية أنما جاءت بصيغة الفعل المضارع .

ويجد أيضاً أن هذه المسميات انما جاءت بصيغة المبني للمعلوم .

ويلاحظ أيضاً أنّ اسم المدينة (او المكان) يرد أحياناً مسنداً للمذكر والمؤنث؛ فيأتي في رواية يفعل، وفي رواية أخرى تفعل.

مثال ذلك (يدوم) : وهو جبل في بلاد مزينة. جاء في رواية أبي عبيد البكري لبيت الراعي النميري (يدوم):

وفي يدومَ اذا اغبرتْ مناكبه ..... البيت(١) . وفي رواية أخرى جاء (تدوم) (٢) .

ويلاحظ أيضاً أن العرب عاملت هذه المسميات معاملة الاسماء (أحياناً) فأدخلت عليها (أل) التعريف ففي مادة (يربغ) : المشتق من الرّبغ – بفتح الراء والباء – وهوسعة العيش، والرخاء ..

قال الصاغاني في «العباب الزاخر» : اليربغ : موضع معروف (٣). ومن

(*) اعني بهم : الذين كتبوا في أصول النحو .

(١) معجم ما استعجم ١٣٩١/٤ .

(٢) ينظر : شعر الراعي النميري /٢٣٥ .

(٣) مادة (ربغ) ص ٣٦ .

شواهد هذه المادة قول رؤبة بن العجّاج: (١)

فاعسفْ بنـاجٍ كالربـاع المشتغـــى
بصلب رهبي او جماد اليربغ

والمشتغي: الذي قد همّ أنْ يُلقيَ رباعيته اذا شخصت ونغضتْ، أراد البُزول(٢) .

وقد يرد اسم الموضع (او المدينة او المكان)، الذي يسمى بصيغة فعلية على مالم يسمّ فاعله، مثل (تُرعى) على وزن (تُفْعَلُ) من الرعي، أرض لبني جُداعة، حددها السكونيّ في حديث وصفي طويل أورده ابو عبيد البكري في «معجمه»(٣) .

وقد اخترت مجموعة من أسماء الاماكن التي جاءت بصيغة فعلية. مرتبة ترتيباً هجائياً على أساس جذورها، مقرونة بالشواهد.

*ثرب (يثرب)

-قال تعالى: « ياأهل يثرب لا مُقامَ لكمْ فارجعوا»(٤) .

قال حسان بن ثابت: (٥)

اولـئك قومـــي فـــإن تســـألـــي
كرامٌ اذا آنصيف يـوماً ألـمْ
(بيثربَ) قـد شيّدوا فـــي النخيـــل
حصوناً ودجّن فيهـــا النَّعَمْ

-ولما حُملتْ نائلة بنت الفرافصة الى عثمان بن عفان رضي الله عنه. من

(١) نفسه (ربغ)، ومعجم ما استعجم ٤/١٢٩٣ .
(٢) العباب (ربغ)، (حرف الغين) ص ٣٦ .
(٣) معجم ما استعجم ١/٣١٠ و ٤:١٢٣٦ .
(٤) الآية ١٣ من سورة الاحزاب .
(٥) السيرة النبوية، لابن هشام ٤:٢٠٢ .

الكوفة قالت : (١)

قضى الله حقاً ان تموتي غريبة
(بيثربَ) لا تلقين أمّاً ولا أبا

وقد جاءت مصروفة خضوعاً لقانون الصرف العروضيّ :

ـ قال كعب بن مالك في يوم أحد (٢) :

ألا أبلغا فهراً على نأي دارها
وعندهمُ من علمنا اليوم مصدقُ

فأنّا غداةَ السفح من بطن يثربٍ
صبرنا ورايات المنية تخفقُ

ـ وقال عبد الله بن الزِّبعْرَى (٣) :

أنصابُ مكة عامدين ليثربٍ
في ذيِّ غياطَلَ جحفل جبجاب

*حتم (تحتم)

وهو بلد باليمن . وضبطه ابو عبيد البكريّ : بفتح اوله واسكان ثانيه وكسر التاء الثانية (٤) .

ـ قال لبيد :

وهل يشتاقُ مِثْلُكَ من ديار
دوارس بين تحتمَ فالخلالِ

دوم (يدوم ـ تدوم)

---

(١) معجم البلدان ٥/٤٣١ .
(٢) السيرة النبوية ٣/١٥١ .
(٣) نفسه ٣/٢٦٩ .
(٤) معجم ما استعجم ١/٣٠٥ .

قال الراعي النميري (١) :

وفي (تدومَ) اذا آغبـــــــــرت مناكبـــه
او دارة الكور عن مروان معتزَلُ

* ذبل (يذبل)

وهو اسم جبل . طرفٌ منه لبني عمرو بن كلاب ، وبقيته لباهلة .

— قالت الخنساء (٢) :

أخو الجود معروفٌ له الجـــودُ والنـــــدى
حليفانِ ماقامتْ تعار ويذبـــــلُ

— وقال ابن مقبل وقد صرفه خضوعاً لقانون الصرف العروضي (٣) :

وهُمْ ملكـــوا بيـن هضبـة يـــــذبـــلٍ
ونجرانَ ، هل في ذاك مرعىً ومسرحُ

* رمل (يرمل)

قال الراعي النميري (٤) :

حتى اذا حـالت الارخـاءُ دونهُـــــــمُ
أرجاء يرملَ حار الطرف اذ بَعُدُوا

ربغ (يَربَغ)

قال الشنفرى (٥) :

كأنْ قد يغررْكَ مـــنّي تـــمـكنـــــي
سلكتُ طريقاً بين يربغَ فالسَّرْدِ

---

(١) شعر الراعي النميري /٢٢٥ .
(٢) معجم ما استعجم ١٢٩١/٤ .
(٣) ديوان ابن مقبل /٥٤ (ق ٦ ب ٢٩) .
(٤) شعر الراعي النميري /٨٢ .
(٥) معجم ما استعجم ١٣٩٣/٤ .

ضرع (يضرع ، وتضارع)

قال الزمخشري : هما جبلان بتهامة لبني الدئل (١) . لكنّ البكريّ جعل تضارع جبلاً في ديار بني هُذيل (٢) . واورد له شاهداً من شعر أبي ذؤيب الهذليّ ، ولعله أقرب الى الصواب . والله أعلم .

قال ابو ذؤيب :

كأنّ ثقالَ المزن بين تضارع
وشابةَ ركبٌ من جذامَ لبيجُ

نضب (تناضب)

بضم اوله وكسر الضاد المعجمة. قال محمد بن حبيب: تناضب شعبة من أثناء الدُّوداء، والدوداء يدفع من العقيق ؛ (٣)

قال كثيّر عزة :

الاليت شعري هل تغيّر بعدنا
أراك فصرما قادم فتناضبُ

وضح (توضح)

بضمّ اوله، وبالضاد المعجمة المكسورة والحاء المهملة: موضع ما بين رمل السبخة وأود (٤) .

قال النابغة :

الواهبُ المائةَ الابكارَ زيّنَها
سعدانُ (توضحَ) في أوبارها اللَّبَد

---

(١) الجبال والامكنة والمياه /٩٣ .
(٢) معجم ما استعجم ١/٣١٢ .
(٣) معجم ما استعجم ١/٣٢٠ .
(٤) معجم ما استعجم ١/٣٢٤ .

وقد وردت في مطولة امرىء القيس (معلقته):

قفـــــانبك مـــن ذكرى حبيـــــب ومنـــزل

بسقط اللوى بيـن الدخول فحومل

(فتوضحَ) فالمقراة لم يعْـــــفُ رسمُهـــا

لمـــا نسجتهـــا من جنوبٍ وشمأل

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

خاتمة البحث ونتائجه

هذا البحث في أحكام الممنوع من الصرف ،والصرف، المتصلة باسماء المدن والاماكن في اللغة العربية ...

وقد وجدت — من خلال تدريسي النحو بالجامعة المستنصرية — أن موضوعات الممنوع من الصرف فيها سلبيات كثيرة منها اضطراب الاحكام وعدم الاستيعاب، فعزمت — بعد التوكل على الله — على تناول أنماط هذا الموضوع واحداً، وحداً فابتدأت بهذا النمط ....

القسم الاول: مايتصل بالتذكير والتأنيث وهو في مبحثين:

الاول: ما ليس فيه علامة تأنيث

وقد توصلت فيه الى أنّ هذا اللون من ألوان الموضوع يتصل اتصالاً وثيقاً بالتكوين الحضاري والثقافي العريق في القدم ، وأن كل مؤنث من اسماء المدن ليس فيه علامة تأنيث فهو متردد بين الصرف وعدمه على حدّ سواء .وانه لا يتصل بارادة المتكلم كما يزعم النحاة، لان المسألة ليست ارادية بل تتصل باللاشعور الجمعي.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الثاني: ما فيه علامة تأنيث

وهو ممنوع من الصرف بالاجماع. لكن الشيء الجديد هو أنني اكتشفت قانوناً نحوياً جديداً يصرف الاسم الممنوع من الصرف أسميته: « قانون الصرف العروضي» لان الاسم الممنوع من الصرف بالاجماع، يصرف حين يقع هذا الموقع، مهما كان نوعه.

القسم الثاني : ماليس له علامة بالتذكير والتأنيث وهو مبحثان ايضاً .

المبحث الأول : ما آخره ألف ونون

وقد اضطرب فيه النحاة فعدّه بعضهم مذكراً وعده بعضهم مؤنثاً .

والذي رأيته وارضحته في البحث أن هذا اللون لا علاقة له بالتذكير والتأنيث،

وانه ممنوع من الصرف لا لكونه مؤنثاً بل لكونه جاء مردفاً بالالف والنون فحمله العرب على مافيه الف ونون زائدتان ، وهذا من باب حمل النظير على نظيره وهو أصل من اصول النحو المعروفة .

وقد ميزت في هذا المبحث ثلاثة أنماط :

النمط الاول : العربيّ ... ووجدت لاول مرة انه يأتي على أربعة أوزان : (فَعْلان و فُعْلان و فُعَيْلان و فيعلان) .

النمط الثاني : المعرَّبُ . وقد أوضحت أصوله لأول مرة وبينت أن اسماء المدن من هذه الناحية لاعلاقة لها — البتة — بالمذكر والمؤنث .

النمط الثالث : الاسماء المَعجَّمة

وهو ممنوع من الصرف أيضاً . وقد توصلت اليه لأول مرة واضفته الى موضوع البحث . حتى المصطلح من وضعي .

أما المبحث الثاني فهو ما جاء بصيغة فعلية والنتائج التي توصلت اليها في هذا هي :

أنّ الأسماء التي جاءت بصيغ فعلية ، انما جاءت بصيغة الفعل المضارع .

وان الامكنة التي سميت بأفعال كثيرة ...

وان العرب عاملت هذه الامكنة معاملة الاسماء (احياناً) فعرفتها بالالف واللام .

وان اكثر مايرد اسم المكان بصيغة الفعل المبنيّ للمعلوم . وقليلاً ماياتي بصيغة المبنيّ للمجهول .

وأرجو أن يكون في هذه النتائج مايفيد وينفع « فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ماينفع الناس فيمكث في الأرض » .

المراجع

١ ــ اعراب القرآن، لابي جعفر النحّاس، ط. بغداد، نشر رئاسة ديوان الاوقاف (١٣٩٧هـ) تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد .

٢ ــ ايضاح الوقف والابتداء في كتاب الله، لابي بكر بن الانباري، ط. دمشق ١٣٩٠هـ، بتحقيق الدكتور محيي الدين عبد الرحمن رمضان.

٣ ــ الاشتقاق، لابن دريد، ط. مصر (١٩٥٨م)، تحقيق الاستاذ عبد السلام هارون .

٤ ــ اصلاح المنطق ، لابن السكّيت، ط. دار المعارف بمصر الثانية، سنة ١٩٥٦م .

٥ ــ أمالي السهيلي، لابي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الاندلسيّ ط. مصر (١٣٩٠هـ)، تحقيق السيد محمد ابراهيم البنا .

٦ ــ البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، لابي البركات الانباري، مطبعة دار الكتب المصرية (١٩٧٠م). بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب.

٧ ــ التبصرة والتذكرة، للصيمريّ، ط. دمشق (١٩٨٢م)، تحقيق الدكتور فتحي أحمد مصطفى عليّ الدين .

٨ ــ الجبال والامكنة والمياه، للزمخشري (ط. النجف الاشرف ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢) .

٩ ــ الحلل في اصلاح الخلل من كتاب الجمل، لابي محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيّد البطليوسيّ. ط. بيروت (١٩٨٠م)، بتحقيق السيد سعيد عبد الكريم .

١٠ ــ خزانة الادب، للبغداديّ. ط. بولاق (١٢٩٩هـ) .

١١ ــ ديوان ابن مقبل، ط. دمشق ١٣٨١هـ/١٩٦٢م. بتحقيق الدكتور عزة حسن .

١٢ — ديوان الاخطل (ط. قطر ١٩٦٢م) .
١٣ — ديوان جرير (ط. الصاوي) .
١٤ — ديوان حسان بن ثابت (ط. بيروت ١٣٨٦هـ — ١٩٦٦).
١٥ — ديوان عمر بن أبي ربيعة (ط. محمد محيي الدين عبد الحميد) .
١٦ — ديوان الفرزدق (ط. بيروت ١٣٨٠هـ — ١٩٦٠م) .
١٧ — السيرة النبوية. لابن هشام. ط. مصر ١٣٥٥هـ/١٩٣٦م بتحقيق : مصطفى السقا وزميليه .
١٨ — شرح ديوان زهير بن ابي سلمى (مطبعة دار الكتب بمصر ١٩٤٤م).
١٩ — شعر الراعي النميري. مطبعة المجمع العلمي العراقي (١٩٨٠). تحقيق : الدكتور نوري حمودي القيسي والسيد هلال ناجي .
٢٠ — ضرائر الشعر. لابن عصفور. ط. دار الاندلس ببيروت (١٩٨٠). تحقيق السيد ابراهيم محمد .
٢١ — العباب الزاخر. للصاغاني. نشر دار الرشيد ببغداد حرف الغين (١٩٨٠). وحرف الفاء (١٩٨١) تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين.
٢٢ — كتاب العين. للخليل بن أحمد الفراهيدي. نشر دار الرشيد ج٤. ج٥ (١٩٨٢). تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي .
٢٣ — فقه اللغات السامية. تأليف : كارل بروكلمان. ترجمه عن الالمانية الدكتور رمضان عبد التواب (مطبوعات جامعة الرياض. ١٣٩٧هـ — ١٩٧٧م) .
٢٤ — الكتاب. لسيبويه. (ط. بولاق) .
٢٥ — لسان العرب. (ط. بولاق) .

٢٦ ــ اللغة. تأليف : ج. فندريس. ترجمة عبد الحميد الدواخليّ ومحمد القصاص (ط. مصر ١٩٥٠) .
٢٧ ــ ما ينصرف وما لا ينصرف. للزجاج. نشر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة (١٩٧١م). تحقيق هدى محمود قراعة .
٢٨ ــ المخصص . لابن سيده (ط. بيروت) .
٢٩ ــ معاني القرآن. للفراء. ط. مصر ١٩٥٥ وما بعدها .
٣٠ ــ معجم البلدان. لياقوت الحموي. ط. بيروت .
٣١ ــ معجم ما استعجم. لابي عبيد البكري. ط. مصر ١٣٦٤هـ بتحقيق مصطفى السقا .
٣٢ ــ المقتضب . للمبرد. ط. مصر ١٣٨٥هـ. تحقيق الاستاذ محمدّ عضيمة.
٣٣ ــ المذكر والمؤنث. لابي بكر بن الانباريّ. نشر ديوان وزارة الاوقاف ببغداد (١٩٧٨م). بتحقيق الدكتور طارق عبد عون الجنابي .
٣٤ ــ ملامح من تاريخ اللغة العربية. للدكتور أحمد نصيف الجنابي، ط. بيروت ١٩٨١م) .
٣٥ ــ همع الهوامع. للسيوطي. (ط. مصر ١٣٢٧هـ) .